

منهج السنة النبوية في الوقاية من الأمراض المعدية؛ فيروس كورونا

COVID 19 نموذجاً.

د. شعبان عبد الحميد رفاعي

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على قضية من القضايا التي باتت حديث العالم ومنتهى تطلعاته؛ ألا وهي قضية الوقاية من الأمراض والأوبئة المعدية، خاصة مع تفشي وباء كورونا الذي أصبح يهدد العالم، وبيان منهج السنة النبوية في التحذير من الأمراض المعدية، ووضع الضوابط والأسس التي تضمن الوقاية منها، وذلك من خلال المبادئ التي أرستها، ونادت بها، والتطبيقات العملية التي ذكرتها، كما أنه يعالج إشكالية ظهور فيروس كورونا وانتشاره في أرجاء الأرض، وما صاحبه من أحوال وتغيرات، وتأثير على الحياة العامة، مما استدعى موقفاً علمياً من أهل الاختصاص، وبحثاً علمياً يوضح منهج السنة المطهرة في الوقاية من الأمراض المعدية ومنها هذا الفيروس. وتبرز أهمية هذا البحث: في الحاجة إلى تحرير مصطلح الأمراض المعدية، وبيان ضرورة وحتمية الوقاية منها، وبيان المنهج الشامل للسنة النبوية المطهرة في تحقيق ذلك. وقد اعتمد في البحث: المنهج الاستقرائي في جمع مفردات الموضوع بالرجوع إلى السنة المطهرة، وأشهر كتب الأئمة والعلماء الذين عنوا بقضايا صحة الإنسان في ضوء السنة النبوية المطهرة، كما اعتمد المنهج الوصفي التحليلي في تحليل النصوص وبيان العلاقات الجامعة بينها واستخلاص الضوابط والقواعد التي استخلصها العلماء من السنة النبوية لضبط هذه القضية، وإبراز معالمها، ثم ذكر بعض التطبيقات من سنة النبي صلى الله عليه وسلم مما يعتبر تطبيقاً عملياً لها. ومن نتائج البحث المتوقعة: أن السنة المطهرة هي مفتاح العطاء ونبراس الهدى، بها تفسير وهداية لكل مجريات الأمور، وأن قضية الوقاية من الأمراض المعدية حظيت بجانب كبير من اهتمامها، وأنه يجب على الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات الإمام بالتناول النبوي لقضايا صحة الإنسان، وعلى رأسها قضية الوقاية من الأمراض والأوبئة المعدية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمما لا شك فيه أن العالم يواجه الآن مشكلة من أخطر المشكلات، وتحدي كبير يتوقف على النجاح في مواجهته بقاء البشرية، وعلى الإخفاق في مواجهته هلاك أعداد كبيرة منها إن لم يكن جميعها؛ ألا وهو تفشي وباء كورونا. وبناء عليه فقد هبت جميع المؤسسات الصحية حول العالم لإيجاد لقاح يعالج أو يقاوم هذا الوباء، ولكن على مدار ما يزيد على عام كامل لم يتوصل العالم إلى الدواء الشافي من هذا الوباء، وكل ماتم التوصل إليه في هذا

الصدد هو إنتاج مجموعة من اللقاحات للوقاية من هذا الوباء، وإن كانت جميعها لم تسلم من الانتقادات، ولم تثبت فاعليتها حتى الآن.

وفي هذه الورقة سوف أتعرض للمنهج النبوي الحكيم في مواجهة الأوبئة والأمراض المعدية، وبيان المعايير والضوابط والآليات التي وضعتها السنة النبوية لتحقيق هذا الغرض. وليس معنى ذلك التشكيك في الجهود العلمية التي بذلت ولا التقليل من أهميتها؛ وإنما بيان أن المنهج النبوي سابق في هذا المجال، وأنه مقدم على الدراسات العلمية الحديثة، وأنه منه نبدأ إذا أردنا الوقاية الحقيقية من هذه الأمراض والأوبئة المنتشرة الآن وفي كل زمان ومكان.

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وفيها الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

المبحث الأول: تعريف الأمراض المعدية، وأهم أضرارها ومخاطرها.

المبحث الثاني: وسائل الوقاية من الأمراض المعدية قبل وقوعها، وتطبيقها على فيروس كورونا.

المبحث الثالث: وسائل الوقاية من الأمراض المعدية بعد وقوعها، وتطبيقها على فيروس كورونا.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول

تعريف الأمراض المعدية، وأهم مخاطرها.

الأمراض والأوبئة المعدية: هي الأمراض التي تنتقل من شخص إلى شخص آخر أو عدة أشخاص عن طريق التنفس أو الملامسة أو السعال أو نقل الدم أو العلاقة الجنسية أو غير ذلك.

والوباء: كلُّ مرضٍ شديد العدوى، سريع الانتشار من مكان إلى مكان يصيب الإنسان والحيوان والنبات، وعادة ما يكون قاتلاً كالطاعون والكوليرا وكورونا وغيرها.

قال الخليل بن أحمد: الوباء، مهموز: الطاعون، وهو أيضاً كلُّ مَرَضٍ عامٍّ، تقول: أصاب أهل الكورة العام وباء شديد.. وأرضٌ وِبْئَةٌ، إذا كثر مَرَضُها، وقد استوبأَتْها.. وقد وِبُوَّتْ وِبَاءَةً، إذا كَثُرَتْ أمراضها (١).

وقد عرفته منظمة الصحة العالمية بأنه: حالة انتشار لمرض معين، حيث يكون عدد حالات الإصابة أكبر مما هو متوقع في مجتمع محدد أو مساحة جغرافية معينة أو موسم أو مدة زمنية. وقد يحدث الوباء في منطقة جغرافية محصورة أو يمتد في عدة دول، وقد يستمر لعدة أيام أو أسابيع، وربما يستمر لسنوات (٢).

والعدوى: اسم من الإعداء، يقال: أعداه الداء يعديه إعداء، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء (٣).

(١) العين ٤١٨/٨.

(٢) <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/encyclopedia>

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٩٢/٣.

حكم العدوى

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث شريفة تثبت العدوى وأنها واقعة بإذن الله تعالى ومن هذه الأحاديث: ما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص، أنه سأل أسامة بن زيد: ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فراراً منه» وقال أبو النضر: «لا يخرجكم إلا فراراً منه»^(١).

وعن عمرو بن الشريد، عن أبيه، قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم «إنا قد بايعناك فأرجع»^(٢).

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُوردوا الممرض على المصح»^(٣).

والممرض هو صاحب الإبل التي أصابها الجرب، والمصح هو صاحب الإبل السليمة، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم صاحب الإبل المرضى أن يورد إبله على إبل صاحب الإبل الصحيحة حتى لا تصاب الإبل الصحيحة بالجرب.

فهذه الأحاديث الشريفة تثبت وجود العدوى، وأن الإنسان الذي يحمل مرضاً معدياً قد يكون سبباً في نقله إلى غيره من الأصحاء.

وفي نفس الوقت وردت أحاديث أخرى عنه صلى الله عليه وسلم يفهم من ظاهرها نفي العدوى ومنها: ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا صفر، ولا هامة» فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال الإبل، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فمن أعدى الأول»^(٤).

الجمع بين الأحاديث الشريفة

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث الشريفة بأنه لا تعارض بين هذه الأحاديث، وأن انتقال العدوى من المريض إلى السليم بإذن الله تعالى ثابت تجربة ومشاهدة، وأن العدوى المنفية هي التي كان أهل الجاهلية يعتقدونها، وهي انتقالها بنفسها دون النظر إلى مشيئة الله في ذلك.

قال الإمام النووي: "وطريق الجمع أن حديث لاعدوى المراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أن المرض والعاية تعدى بطبعها لا بفعل الله تعالى وأما حديث لا يورد ممرض على مصح فأرشد فيه إلى مجانبة ما يحصل

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والظيرة والكهانة (٤/١٧٣٧ رقم: ٢٢١٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب اجتناب المجذوم (٤/١٧٥٢ رقم: ٢٢٣١).

(٣) البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى (٧/١٣٩ رقم: ٥٧٧٣).

(٤) البخاري، كتاب الطب، باب لا صفر (٧/١٢٨ رقم: ٥٧١٧).

الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره فنفي في الحديث الأول العدوى بطبعها ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدر الله تعالى وفعله وأرشد في الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله وإرادته وقدره فهذا الذي ذكرناه من تصحيح الحديثين والجمع بينهما هو الصواب الذي عليه جمهور العلماء ويتعين المصير إليه (١).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الجمع بين أحاديث إثبات العدوى ونفيها عدة مسالك من أهمها:

أولاً: نفي العدوى جملة وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم لأنه إذا رأى الصحيح البدن السليم من الآفة تعظم مصيبتة وتزداد حسرته.

ثانياً: حمل الخطاب بالنفي والإثبات على حالتين مختلفتين فحيث جاء: " لا عدوى" كان المخاطب بذلك من قوي يقينه وصح توكله بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى كما يستطيع أن يدفع التطير الذي يقع في نفس كل أحد لكن القوي اليقين لا يتأثر به، وحيث جاء: " فر من المجذوم" كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه ولم يتمكن من تمام التوكل فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد العدوى فأريد بذلك سد باب اعتقاد العدوى عنه بأن لا يباشر ما يكون سبباً لإثباتها.

ثالثاً: أن المراد بنفي العدوى أن شيئاً لا يعدي بطبعه نفياً لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ليبين لهم إن الله هو الذي يمرض ويشفي ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها ففي نهيه إثبات الأسباب وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً وإن شاء أبقاها فأثرت (٢).

المبحث الثاني

وسائل الوقاية من الأمراض المعدية قبل وقوعها، وتطبيقها على فيروس كورونا

جاءت السنة المطهرة بالعديد من الوسائل والأسباب التي تحول دون انتشار الأمراض المعدية وعلى رأسها فيروس كورونا ومن أهم تلك الوسائل:

١- الأمر العام بالنظافة والطهارة:

مع ارتفاع عدد الإصابات بفيروس كورونا؛ واحتمالية ازدياد فرص الإصابة به؛ فقد أكد العلماء والباحثون أن الحرص على النظافة اليومية للبدن والأواني المستخدمة في الطعام والشراب، والأماكن العامة وتعقيمها هو السبيل الوحيد لمحاصرة هذا الوباء والحد من خطورته، وإمكانية القضاء عليه بنسبة كبيرة.

(١) شرح النووي على مسلم (٢١٣/١٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/١٦٠.

إن هذا الأمر الذي ينادي به الباحثون والعلماء والمنظمات الصحية حول العالم هو ما جاءت به السنة المطهرة ونادت به منذ أكثر من ألف وأربعمائة عامومن مظاهر اهتمام الإسلام بالنظافة؛ أن الله تعالى جعلها شرطاً لإقامة الصلاة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسِمِّيَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" سورة المائدة: ٦

وجاءت السنة المطهرة فاعتبرت الطهارة والنظافة الشخصية من أهم القيم الإسلامية، وأنها جزء لا يتجزأ من الإيمان، مما جعلها تحظى باهتمام كبير في الشريعة الإسلامية، فلم يعد ينظر إليها على أنها مجرد سلوك يمدح فاعله ويذم تاركه، بل جعلها الإسلام قضية إيمانية يثاب فاعلها ويأثم تاركها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ -أو: بضعٌ وستونَ- شعبةٌ، فأفضلُها قولُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان" (١).
ومن أهم مظاهر اهتمام الإسلام بالطهارة؛ أنه جعلها سمة من سمات عباد الله الذين يعمرن بيوته بالذكر والصلاة.

قال الله تعالى: " فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ" النور: ٣٦-٣٧.

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم النظافة نصف الإيمان؛ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعَ نَفْسَهُ فَمَعْرِفُهَا أَوْ مَوْبِقُهَا" (٢).

ومن أهم أسباب النظافة

أ- الحرص على استصحاب الوضوء:

فقد شرع الإسلام الوضوء وجعله شرطاً لقبول الصلاة، مع ما فيه من تعهد أعضاء البدن الظاهرة الأكثر عرضة للتلوث بالنظافة.

فعن أبي هريرة، يُقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَتَوَضَّأَ» (٣).

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (٢٠٣/١) رقم: (٢٢٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (٦٣/١) رقم: (٣٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطهارة، باب لا تقبل صلاة بغير طهور (٣٩/١) رقم: (١٣٥).

كما حث النبي صلى الله عليه وسلم على إسباغ الوضوء، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَوْ فِي الْمَسْجِدِ عَفَّرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ» (١).

وبالرجوع إلى الأطباء والمنظمات الصحيحة نجد أن للوضوء دور فعال في الوقاية من الأمراض المعدية وعلى رأسها فيروس كورونا؛ يقول الدكتور أسامة رسلان، الأمين العام لاتحاد الأطباء العرب في الدورة التي حملت عنوان: فيروس كورونا المستجد بين التهويل والتهوين: "إن الدين الإسلامي وضع ركائز الطب الوقائي والوقاية من مثل هذه الأمراض عن طريق الوضوء الذي يجعل الإنسان يغسل جسده ٥ مرات يوميًا، وهو من أفضل طرق الوقاية من الأمراض، ومنها كورونا، حيث يقلل فرص الإصابة بالأمراض الفيروسية والبائية، مستشهدًا بالحديث النبوي «أرايتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمسًا، هل يُبْقَى من درنه شيئًا» (٢).

ب- غسل اليدين:

فقد اهتمت السنة المطهرة بنظافة اليدين باعتبارهما من أهم وسائل نقل الفيروسات إلى الفم أو الأنف أو العينين، وكذلك نقل العدوى من شخص إلى شخص أو إلى أشخاص آخرين.

وقد وردت الأحاديث الشريفة التي توصي بالاهتمام بغسل اليدين وتنظيفهما خاصة في الحالات الآتية.

١- عند الاستيقاظ من النوم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ» (٣).

٢- قبل الطعام وبعد:

فَعَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ: بَرَكَهُ الطَّعَامِ الوُضُوءُ بَعْدَهُ، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ فَقَالَ: " بَرَكَهُ الطَّعَامِ الوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ" (٤).

ومع احتدام أزمة كورونا فقد أوصت جميع المنظمات الصحية بضرورة المحافظة على نظافة اليدين دائما وأن ذلك من أقوى أسباب عدم الإصابة بالمرض.

فبحسب آر تي عربي فقد أظهرت دراسة جديدة أجراها معهد "ماساتشوستس للتكنولوجيا" في كامبريدج، أهمية غسل الأيدي في إبطاء انتشار الفيروسات.

واستخدمت الدراسة، التي نُشرت في مجلة Risk Analysis، النمذجة الوبائية والمحاكاة المستندة إلى البيانات، لتحديد أثر تحسين النظافة الشخصية على معدل انتقال الفيروس.

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه (٢٠٨/١) رقم: (٢٣٢).

(٢) <https://www.almasryalyoum.com/news/details/1473724>

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب كراهية غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء (٢٣٣/١) رقم: (٢٧٨).

(٤) مسند الإمام أحمد (١٣٦/٣٩) رقم: (٢٣٧٣٣).

وبدأ الباحثون بالبيانات المتاحة توضيح أن عددا كبيرا من الأشخاص، لا يغسلون أيديهم بعد استخدام المرحاض، أو قد لا يفعلون ذلك بشكل صحيح. وكشفوا أن الحفاظ على نظافة الأيدي، خاصة أثناء السفر، لديه القدرة على تقليل خطر انتشار محتمل للعدوى القاتلة، بنسبة ٢٤ إلى ٦٩.٠% وقال معدو الدراسة إن نشر "استراتيجيات الوقاية" في ١٠ مواقع رئيسية، قد يؤدي إلى خفض مخاطر المرض بنسبة تصل إلى ٣٧.٠% وتحدد مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها الأمريكية (CDC)، أفضل طريقة يمكن استخدامها في غسل اليدين بشكل فعال. وأوضحت بالقول: "اغسل يديك كثيرا بالماء والصابون لمدة ٢٠ ثانية على الأقل، خاصة بعد الذهاب إلى الحمام، وقبل الأكل وبعد السعال أو العطاس. وإذا لم يكن الصابون والماء متوفرين بسهولة، استخدم مطهر الأيدي القائم على الكحول بنسبة ٦٠٪ على الأقل" (١).

٢- النهي عن العطاس في وجوه الناس تجنباً لنقل العدوى: ولا يخفى أن من أهم أسباب انتشار فيروس كورونا هو انتقال الرزاز من المريض إلى السليم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا عَطَسَ عَطَى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ بِنُؤْبِهِ وَعَضَّ بِهَا صَوْتَهُ» (٢).

والسر في تغطية الفم ظاهر وهو عدم وصول رزاز العطاس إلى غيره من الأشخاص. قال ابن الملك: "أي: ستر" وجهه بيده أو بثوبه، كيلا يترشش من لعابه أو مخاطه إلى أحد" (٣). وفي جائحة كورونا أثبتت الدراسات أن الرزاز المتطاير من المصاب بفيروس كورونا يلعب دورا كبيرا في سرعة انتشار المرض.

فبحسب ليديا بوروية، عالمة ديناميكيات السوائل في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، فإن القطرات التي يولدها العطس "يمكن أن تنتقل لمسافة ٢٧ قدما.. هذا الأمر له تداعيات على عدد الناس الذين يلتقون في مكان واحد، خاصة إذا لم يتم تغيير تدفق الهواء بانتظام" (٤).

كما استخدم باحثون في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) في كامبريدج في الولايات المتحدة كاميرات ذات سرعة عالية وغيرها من أجهزة الاستشعار لقيّموا بدقة ما يحدث في أعقاب السعال أو العطس. وتوصل هؤلاء إلى أن الزفير يُنتج سحابة صغيرة من الغاز سريعة الحركة تحوي قطرات رذاذ صغيرة مختلفة الأحجام، وتذهب قطرات الرذاذ الأصغر حجما منها إلى مسافات بعيدة (٥).

٣- النهي عن البصاق في الأرض:

(١) <https://arabic.rt.com/health/> ١٠٨٥٣٦

(٢) المستدرك على الصحيحين (٤/٣٢٥ رقم: ٧٧٩٦).

(٣) شرح مصابيح السنة للبعوي (٥/١٠٢ رقم: ٣٦٧٦).

(٤) <https://www.alhurra.com/health/> ٢٠٢٠/٥/٠٣

(٥) <https://www.bbc.com/arabic>

لا شك أن البصاق في الشوارع والطرق وأماكن التجمعات العامة إلى جانب كونه سلوك مشين وغير حضاري؛ فهو سلوك ناقل للأمراض المعدية كما أثبتت ذلك العديد من الدراسات الحديثة، إضافة لما فيه من القذارة، وإيذاء الناس.

ولذلك فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البصاق في الأرض، وبين أن ذلك من مساوئ الأخلاق، وأنه يتنافى مع الذوق الإسلامي الرفيع، وأمر بالقضاء على هذه الظاهرة والتخلص من آثارها، حتى لا تكون مصدرا للعدوى.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَدَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النَّجَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ" (١).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ حَاطَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا» (٢).
وعند مسلم: "التَّفْلُ فِي الْمَسْجِدِ حَاطَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا" (٣).

قال ابن بطلال: "إنما كان البزاق في المسجد خطيئة لنهاه عنها، ومن فعل ما نهى عنه فقد أتى بخطيئة، ثم إن النبي (صلى الله عليه وسلم) علم أنه لا يكاد يسلم من ذلك؛ فعرف أمتة كفارة تلك الخطيئة، وأمر المصلي أن ييزق في ثوبه، أو تحت قدمه ليعرکه ويغيره، ولا تقع عليه عين أحد، غير أن ارتكاب الخطيئة لا يكون إلا بالقصد والعلم بالنهاه عنها، وأما من غلبته النخامة فقد ندب إلى دفنها وإزالتها، ومن فعل ما ندب إليه فما أجور" (٤).

وعلى صعيد مواجهة فيروس كورونا، وبيان أسباب انتشاره، وكيفية مواجهته، وبحسب جريدة الاتحاد فقد حذرت الدكتورة عفاف المصري اختصاصية أمراض الأنف والحنجرة من الآثار التي تسببها ظاهرة البصق، مشيرة إلى أن «الدراسات كشفت أن البصق يتسبب في نقل ٧٠% من الأمراض الفيروسية كأمراض الشعب الهوائية العادية والخطرة والسل الرئوي والميكروبات الخاصة بالجهاز التنفسي العلوي مثل النزلة الشعبية والبرد. وكذلك مرض الدرن باعتبار ميكروب الدرن مقاوما للطبيعة وبإمكانه أن يعيش لشهور، خاصة في الأماكن التي لا تتعرض لضوء الشمس، وهو يتكاثر بسرعة غريبة الهواء والغبار، فإذا بصق المريض على الأرض وجف البصاق، فإن الأتربة المتطايرة تحمل الميكروب ليستنشقها الشخص السليم ويصاب بالعدوى» (٥).

(١) صحيح مسلم باب البزاق في المسجد خطيئة (٣٩٠/١) رقم: ٥٥٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كفارة البزاق في المسجد، (٩١/١) رقم: ٤١٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد (٣٩٠/١) رقم: ٥٥٢.

(٤) ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري (٧٠/٢)، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٥) <https://www.alittihad.ae/article/> (٥) ٢٠١٣/١٧٦٥٢

٤ - النهي عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه عند الشرب:

السنة أن يشرب الماء في ثلاثة أنفاس، كلما شرب نفساً من الإناء نحاه عن فمه، ثم عاد، مصاً له غير عب، إلى أن يأخذ ربه منه، والتنفس خارج الإناء أحسن في الأدب، وأبعد عن الشره وأخف للمعدة، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه عند الأكل أو الشرب، لأن من فعل ذلك لم يأمن أن يبرز من فيه الريق، فيخالط الماء، فيعافه الشارب، وربما يتأثر برائحة فمه، إذا كانت متغيرة، والماء للطفه ورقة طبعه تسرع إليه الروائح، ناهيك عن احتمالية نقل الأمراض المعدية^(١).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ في الشرب فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؟ فقال أهرقها، قال إني لا أروى من نفس واحد، قال فابن القدر إذاً عن فيك»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه^(٣).

والإناء يشمل إناء الطعام والشراب^(٤).

وقد بين الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى الحكمة من النهي عن النفخ أو التنفس في الإناء فقال: "وجاء في النهي عن النفخ في الإناء عدة أحاديث، وكذا النهي عن التنفس في الإناء؛ لأنه ربما حصل له تعبير من النفس، إما لكون المنتفس كان متغير الفم بمأكولٍ مثلاً، أو لبعد عهده بالسواك والمضمضة، أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة، والنفخ في هذه الأحوال كلها أشد من التنفس"^(٥).

وجاء في شرح رياض الصالحين: "والحكمة من ذلك أن النفس في الإناء مستقذر على من يشرب من بعده، وربما تخرج مع النفس أمراض في المعدة أو في المريء أو في الفم، فتلتصق بالإناء، وربما يشرق إذا تنفس في الإناء، فلهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتنفس الإنسان في الإناء، بل يتنفس ثلاثة أنفاس، كل نفس يبعد فيه الإناء عن فمه"^(٦).

وبناء عليه فإنه ينصح بعدم استخدام أدوات الغير خاصة في مثل وباء كورونا، وقد أوصت المنظمات الصحية بضرورة عدم الشرب من الإناء المستعمل من قبل شخص آخر إلا بعد غسله جيداً بالماء والصابون.

٥- المحافظة على أدوات الطعام والشراب من التلوث:

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٢/٢٠٠) بتصرف.

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب (٣/٣٦٧ رقم: ١٨٨٧).

(٣) سنن الترمذي، باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب (٣/٣٦٨ رقم: ١٨٨٨).

(٤) نيل الأوطار (٨/٢٢١).

(٥) فتح الباري (١٠/٩٢).

(٦) شرح رياض الصالحين (٢/٤٥٤).

فقد أمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالمحافظة على أدوات الطعام والشراب وصيانتها من التلوث، وبين صلى الله عليه وسلم أن بعض الأمراض والأوبئة تحدث في مواسم معينة، وأنها إذا صادفت إناء يغير غطاء أو سقاء بغير وكاء نزلت فيه.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «عَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ» (١).

وهذا الحديث يدل على الإعجاز النبوي، فالمشاهدة والتجربة تشهد بأن بعض الأوبئة تحدث في مواسم معينة من السنة، وأن بعض الأمراض تحدث في دورات أو موجات متعددة على مدار السنين، وهذا ما نشاهده الآن في فيروس كورونا بموجاته المتعددة.

يقول د علي أبو هاشم: "لقد أثبت الطب الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الواضع الأول لقواعد حفظ الصحة بالاحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية، فقد تبين أن الأمراض المعدية تسري في مواسم معينة من السنة، بل إن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات، وبحسب نظام دقيق لا يعرف تعليقه حتى الآن. من أمثلة ذلك: أن الحصبة وشلل الأطفال، تكثر في سبتمبر وأكتوبر والتيفود يكثر في الصيف، أما الكوليرا فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات.. والجدري كل ثلاث سنين وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمي في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء. أي أوبئة موسمية ولها أوقات معينة. فكيف علم الرسول كل ذلك وهو لا يقرأ ولا يكتب، ولا كان باحثاً في علوم الطب وغيرها؟ حقا وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (٢).

٦- البعد عن مصادر الأمراض والأوبئة:

لقد جاءت التعاليم الإسلامية تشتمل ضمناً على ضرورة العيش بعيداً عن مصادر الأمراض، وحماية البيئة العمرانية من أسباب التلوث التي ينتج عنها الكثير من الأمراض والأوبئة المعدية، وقد ترجمت هذه الأحكام إلى تطبيقات عملية على مدار التاريخ الإسلامي.

وكان من أبرز الأحكام ذات الدلالة على حماية البيئة العمرانية من مصادر الأمراض والأوبئة؛ ما جاء في السنة المطهرة من تشريع يوجب تطهير جميع الأماكن التي يرتادها المسلمون، وصيانتها مما يلوثها. فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اتَّقُوا الْمَلَاعِينَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ" (٣).

(١) صحيح مسلم كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء (٣/١٥٩٦، رقم ٢٠١٤).

(٢) الإعجاز التشريعي والعلمي في السنة النبوية، مقال منشور بجريدة أخبار الخليج الإلكترونية، بتاريخ ٢٩ يناير ٢٠١٦.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول فيها (١/٧/٢٦).

قال الشيخ محمود خطاب السبكي: " دلّ الحديث على تحريم قضاء الحاجة في مجارى الماء والطرق التي تمرّ فيها الناس والأمكنة التي يؤخذ منها الماء لما فيه من الإيذاء للناس بالتقذير ونحوه" (١).

ويتجلى حرص السنة المطهرة على حماية البيئة العمرانية من التلوث فيما يأتي:

أ- النهي عن البول في الماء:

فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء؛ سواء كان راكدا أو جاريا. عَنْ جَابِرٍ: "عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ" (٢). وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الْجَارِي" (٣). والحكمة في النهي عن البول في الماء؛ عدم تنجيسه إن كان قليلاً، وتقذيره إن كان كثيراً (٤).

يقول الدكتور. موسى شاهين لاشين: "كانت العرب في بداوتهم لا يحافظون على نظافة مائهم، فترقى بهم الإسلام إلى أعلى درجات المحافظة على النظافة، نهاهم أولاً عن البول في الماء الراكد، ثم نهاهم عن الاغتسال في الماء الذي لا يجري، نهاهم عن الانغماس في الآبار والمستنقعات لرفع جنابتهم، لأنهم بذلك يفسدون نقاوة الماء، وإقبال النفوس عليه، ويحولون النفس الأبية عن استعماله في الوضوء أو الشرب، أو طهي الطعام" (٥).

ب- النهي عن التخلي في الظل وتحت الشجرة المثمرة:

فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن قضاء الحاجة في الأماكن التي يرتادها الناس، وكذلك التي تكون مصدر ارتفاع لهم؛ لأنه يؤدي أذية من يتصل بتلك الأماكن، ناهيك عن كونه سببا في انتشار الأمراض والأوبئة. عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَخَلَّى الرَّجُلُ تَحْتَ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ، وَنَهَى أَنْ يَتَخَلَّى عَلَى صَفْعَةِ نَهْرٍ جَارٍ» (٦).

وقد اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز التبول والتخلي في ظل ينتفع به الناس، واستدلوا لذلك بحديث معاذ - رضي الله عنه - السابق (٧).

(١) شرح سنن الإمام أبي داود (١٠٣/١).

(٢) صحيح مسلم كتاب الطهارة باب النهي عن البول في الماء الراكد (٢٣٥/١ رقم: ٢٨١).

(٣) الطبراني في الأوسط، حديث ١٧٤٩، ورجاله ثقات.

(٤) تطريز رياض الصالحين (٩٩٥/١).

(٥) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٢٣٢/٢).

(٦) الطبراني في الأوسط، حديث ٢٣٩٢، وقال: "لم يرو هذه الأحاديث عن ميمون إلا فرات، تفرد بها الحكم"، وفي الكبير (٣٣٢/١٣) ح ١٤١٣٨، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٠٤/١)، وقال: «رواه الطبراني في "الأوسط"، وفي "الكبير" الشطر الأخير، وفيه فرات بن السائب؛ وهو متروك الحديث».

(٧) ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، (المتوفى: ٥٦٢٠هـ)، المغني لابن قدامة (١/١٦٥)، ط: مكتبة القاهرة، بدون طبعة.

والظاهر من كلام الفقهاء أن النهي للكراهة واستظهر الدسوقي التحريم حيث قال: والظاهر أن قضاء الحاجة في المورد والطريق والظل وما ألحق به حرام.

ومثله ما نقله الشرييني من كلام النووي في المجموع من أنه ينبغي حرمة للأخبار الصحيحة، وإيذاء المسلمين. ويلحق بالظل في الصيف محل الاجتماع في الشمس في الشتاء، كما صرح به الفقهاء. قال ابن عابدين: وينبغي تقييده بما إذا لم يكن محلاً للاجتماع على محرم أو مكروه (١). ولا يخفى ما في البعد عن مصادر الأمراض والأوبئة من الوقاية وعد الإصابة بها.

المبحث الثالث

وسائل الوقاية من الأمراض المعدية بعد وقوعها، وتطبيقها على فيروس كورونا

١-الأخذ بأسباب الوقاية من المرض:

لقد أمرنا الله تعالى بالأخذ بالأسباب والبعد عن كل ما فيه ضرر للإنسان، وفي مقدمة ذلك الأخذ بأسباب السلامة من الأمراض.

قال الله تعالى: **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَاتَّبَعَ سَبَبًا** الكهف: ٨٤-٨٥.

وقال تعالى: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** البقرة: ١٥٩.

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من تتبع مواطن الأمراض ونهى عن دخولها والإقامة فيها.

عن أسامة بن زيد، يُحَدِّثُ سَعْدًا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **«إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا»** فقلت: أنت سمعته يُحَدِّثُ سَعْدًا، وَلَا يُنْكِرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ (٢).

قال الإمام النووي: "وأما الوباء فقال الخليل وغيره هو الطاعون وقال هو كل مرض عام والصحيح الذي قاله المحققون أنه مرض الكثيرين من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات ويكون مخالفا للمعتاد من أمراض في الكثرة وغيرها ويكون مرضهم نوعا واحدا بخلاف سائر الأوقات فإن أمراضهم فيها مختلفة قالوا وكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا" (٣).

٢- الحجر الصحي:

وهو تحديد حرية الانتقال لكل من تعرّض للعدوى بمرض معد، وحجره مدّة من الزمان تُعادل أطول حدٍّ لمدّة حضانة ذلك المرض، فإذا ثبتت سلامته زُفِعَ عنه الحجر، وإلا عُزِلَ في حال تأكيد إصابته.

(١) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٩/١٦٧)، الكويت ط: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون ١٣٠/٧ حديث ٥٧٢٨.

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/٢٠٤).

ويعتبر الحجر الصحي من أهم الإجراءات الوقائية للحد من انتشار العدوى في هذه الفترة التي يواجه فيها العالم كله "فيروس كورونا".

ولقد جاءت السنة النبوية المطهرة بأحاديث هي بمثابة الإعجاز في زمن لم تكن المعلومات الطبية لتعرف أدنى شيء من هذا فيما يتعلق بالعزل والحجر الصحي.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم طريقة تطبيقه بيانا شافيا؛ فعن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الطاعون فقال: "بقيته رجز وعذاب أرسل على طائفة من بني إسرائيل فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تهرّبوا منه وإذا كان بأرض فلا تهبطوا عليه" (١).

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه" (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرني «أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرا محتسبا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد» (٣).

قال الحافظ ابن حجر: "مفهوم هذا الحديث كما اقتضى منطوقه أن من اتصف بالصفات المذكورة يحصل له أجر الشهيد وإن لم يميت بالطاعون ويدخل تحته ثلاث صور أن من اتصف بذلك فوقع به الطاعون فمات به أو وقع به ولم يميت به أو لم يقع به أصلا ومات بغيره عاجلا أو آجلا" (٤).

فبحسب قول ابن حجر رضي الله عنه فإن من لزم بيته وقت وقوع الوباء سواء كان الطاعون أو غيره - يحصل له أجر الشهيد سواء مات بالوباء النازل أو لم يميت به.

إن هذه الأحاديث المذكورة وغيرها تبين لنا المنهج النبوي في التعامل مع الوباء، ومواجهة هذه الأقدار الإلهية بأقدار إلهية أخرى وهي الأخذ بأسباب النجاة، وهو ما ينطبق على واقعنا في ظل انتشار وباء كورونا.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث، طريقة الحجر الصحي؛ فممنع الناس من الدخول إلى البلدة المصابة بالطاعون، ومنع كذلك أهل تلك البلدة من الخروج منها، كما دعا إلى عدم الخروج من البيوت حتى لا يتفشى الوباء فتنتقل العدوى بين الناس.

(١) صحيح ابن حبان، (٧/٢٢٠: رقم: ٢٩٥٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (٧/١٣٠: رقم: ٥٧٢٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا (٨/١٢٧: رقم: ٦٦١٩).

(٤) فتح الباري (١٠/١٩٤).

ويذكر ابن الخطيب في رسالة مبتكرة كيف تنتقل العدوى بين المنازل المجاورة وبين الأقارب والزوار، وعن طريق السفن نحو المدن الساحلية فيقول " إنه غير خفي على من نظر في هذا الأمر أن من يخالط المصاب بهذا المرض يهلك ويسلم من لا يخالطه، كذلك فإن المرض يقع في الدار أو المحلة من ثوب أو آنية فالقرط يتلف من علقه بأذنه ويبيد البيت بأسره، ومن البيت ينتقل المرض إلى المباشرين، ثم إلى جيرانهم وأقاربهم وزائريهم حتى يتسع الخرق، وأما مدن السواحل فلا تسلم أيضا أن جاءها المرض عبر البحر عن طريق وافد من مدينة شاع عنها خبر الوباء" (١).

وعلى هذا المنهج النبوي سار الصحابة رضوان الله تعالى عنهم، فعندما وقع الطاعون بالشام رجع الفاروق عمر رضي الله عنه بالناس ولم يدخلها، فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: "أفرارًا من قَدَرِ اللَّهِ! فَقَالَ عُمَرُ: "لَوْ غَيْرَكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! نَعَمْ نَفَرْتُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ" (٢).

وبهذا الفهم استطاع الفاروق رضي الله عنه أن يطبق الهدي النبوي وأن يجنب من معه من المسلمين مخاطر العدوى، ونحن وفي ظل الانتشار الرهيب لوباء كورونا ما أوجدنا إلى المبادئ الاجتماعية، ولزوم البيوت، منعا من انتشار العدوى بين الناس، وحفاظا على صحتهم وأرواحهم، إذ أن حفظ النفس مقصد من أعظم مقاصد الشريعة الغراء.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن للحجر الصحي دور كبير في التصدي للعديد من الأمراض التي حصدت أرواح الملايين على مر التاريخ، ومنها وباء كورونا (كوفيد - ١٩)، وفي هذا الصدد نشرت "مكتبة كوكرين" مراجعة منهجية جديدة لعدد من الدراسات التي بحثت تأثير الحجر الصحي على انتشار فيروس كورونا الجديد، في محاولة للتوصل إلى مدى فاعلية تطبيق إجراءات الحجر الصحي وحدها في التصدي للجائحة، وما إذا كان اتخاذ تدابير وقائية أخرى إلى جانبها يمكن أن يعطي نتائج أفضل؟

أظهرت هذه المراجعة أن نظم المحاكاة الخاصة بسيناريوهات الحجر الصحي كشفت عن أنه يؤدي دورًا حيويًا في التحكم في انتشار مرض كوفيد-١٩، مقارنةً بأي تدابير وقائية أخرى تطبق من دونه، إذ أدى إلى انخفاض معدل العدوى بنسبة تتراوح بين ٤٤% و ٨١%، ومعدل الوفيات بنسبة تتراوح بين ٣١% و ٦٣%. كما كان للجمع بين إجراءات الحجر الصحي والتدابير الوقائية الأخرى مثل غلق المدارس ومنع السفر والالتزام بالتباعد الاجتماعي - تأثير أكبر على الحد من أعداد الحالات التي تتطلب رعاية حرجة وكذلك أعداد الوفيات، مقارنةً بتطبيق إجراءات الحجر الصحي وحدها (٣).

٣- التداوي:

(١) مقالة: مقنعة السائل عن المرض الهائل، لسان الدين ابن الخطيب (ص ٧٢)، تحقيق: حياة قارة، ط: مطبعة الكرامة - الرباط.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (١٣٠/٧) رقم: ٥٧٢٩..

(٣) <https://www.scientificamerican.com/arabic/articles/news>

التداوي مشروع من حيث الجملة؛ لما روى أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداووا بالحرام (١).

ولما ثبت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم أنه تداوى، فقد روى الإمام أحمد في مسنده أن هشام بن عروة قال: كَانَ عُرْوَةُ يَقُولُ لِعَائِشَةَ: يَا أُمَّتَاهُ، لَا أَعْجَبُ مِنْ فَهْمِكَ، أَقُولُ: زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَا أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكَ بِالشَّعْرِ، وَأَيَّامِ النَّاسِ، أَقُولُ ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ أَوْ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ، وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكَ بِالطِّبِّ كَيْفَ هُوَ؟ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فَضَرَبْتِ عَلَيَّ مَنَكِبِهِ وَقَالَتْ: أَيُّ عُرْيَتِي، " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَقِمُّ عِنْدَ آخِرِ عُمُرِهِ، أَوْ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، فَكَانَتْ تَقْدَمُ عَلَيْهِ وَفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَتَنَعَتْ لَهُ الْأَنْعَاءَ، وَكُنْتُ أَعَالِجُهَا لَهُ، فَمِنْ نَمِّ " (٢).

وقد اختلف العلماء في حكم التداوي على قولين: القول الأول وهو قول الجمهور من الحنفية والمالكية والحنابلة أن التداوي مباح، واستدلوا بعدد من الأدلة مثل قوله عليه الصلاة والسلام: " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء عِلْمُهُ مِنْ عِلْمِهِ، وَجَهْلُهُ مِنْ جَهْلِهِ " (٣). وقوله صلى الله عليه وسلم: " لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أَصَبْتَ دَوَاءَ الدَّاءِ، بَرَأْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى " (٤). وذكروا عدداً من النصوص فيها الخبر عن فائدة التداوي.

القول الثاني: أنه يستحب التداوي، وهو مذهب الشافعية، وكثير من السلف والخلف، وذكروا عدداً من الأدلة أختار منها دليلاً واحداً فقط وهو ما رواه أسامة بن شريك، قال: قَالَتِ الْأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِداً قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْهَرَمُ " (٥).

هذان هما القولان المعروفان في المسألة، وثم قول ثالث لا يُذكر كثيراً لأنه قول قلة من العلماء وبعضهم يجعله وجهاً في المذهب كما عند الشافعية، وهو أن التداوي واجب لا سيما إذا خشي المريض على نفسه التلف (٦). قال ابن القيم: في الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا، وأن تعطيلها يقدر في نفس التوكل، كما يقدر في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع

(١) سنن أبي داود كتاب الطب (٢١٧/٤).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٠/٤٤١: رقم: ٢٤٣٨٠).

(٣) مسند الإمام أحمد (٦/٥٠: رقم: ٣٥٧٨).

(٤) مسند الإمام أحمد (٢٢/٤٥٠: رقم: ١٤٥٩٨).

(٥) سنن الترمذي، باب ما جاء في الدواء والحث عليه (٣/٤٥١: رقم: ٢٠٣٨).

(٦) الموسوعة الفقهية (١١/١١٧).

العبد في دينه ودينه، ودفع ما يضره في دينه ودينه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عاجزه توكلا، ولا توكله عاجزا^(١).

وإذا أردنا أن نُطَبِّقَ فقه هذه المسألة على واقع أخذ لقاح كوفيد فينبغي أن نستحضر الأمور الآتية:

١- أن مسألة أخذ اللقاح، مقدرة في شخص صحيح لا مريض، فالذي يأخذ اللقاح لم يُصب بعد، بيد أننا إذا عرفنا واقع الأمراض الوبائية مثل "كورونا الجديد" فإن من الفقه أن يُقَدَّرَ الصحيح مريضاً لارتفاع نسبه احتمال إصابته، والقواعد الشرعية تدعم ذلك، مثل قاعدة: الأمور بعواقبها، والعبرة للمآل لا الحال، والمتوقع كالواقع، والضرر في المآل ينزل منزلة الضرر الحال. وهكذا نرى أن الشرع ينظر بعين الاعتبار إلى المآلات ويحكم في الحال على وفق ما يمكن أن تصير إليه بحسب الظن الغالب.

٢- أن واقع الأوبئة أنها سريعة الانتشار، وأن مكافحتها ينبغي أن تكون على درجة أسرع من انتشارها، كما أن النظر في حال وقوع الوباء لا يتجه إلى الفرد وإنما يتجه إلى المجموع، ومن ثم فقد يكون للفرد الخيار في أخذ اللقاح من عدمه إذا نظرنا إليه فردياً، بيد أن الحال يتغير إذا نظرنا إليه وفق المجموع.

٣- واقع اللقاحات المجازة من الجهات المختصة يفيد بقدرتها - بإذن الله - على مكافحة الأمراض وعلى أنها مأمونة، وبفضل الله ثم بما يسر من هذه اللقاحات فقد أنقذت أرواح كثيرة، وعلى سبيل المثال فإن لقاحات الحصبة حفظت بفضل الله أرواح ٢٣ مليون إنسان ما بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠١٨م وبالنظر إلى حكم مسألة التداوي التي ترقى إلى الوجوب في بعض الحالات، ونظراً إلى واقع الأوبئة وما تحدث من مفاصد تصل إلى الأنفس والأموال التي حفظها من مقاصد الشريعة، ونظراً كذلك إلى واقع اللقاحات التي تصل نتيجة فائدتها إلى اليقين أو قريب منه وما قارب الشيء أعطى حكمه كما يقول الفقهاء، فإن أخذ اللقاح داخل في المأمور به شرعاً الذي يصل إلى الوجوب استنقاذاً للنفوس ومحافظة على مصالحهم الدينية والدنيوية؛ لا سيما أن هذا المرض ضرره متعدي لا قاصر على الشخص^(٢).

إلى غير ذلك من الوسائل والضوابط والأسباب التي جاءت بها السنة المطهرة لحفظ صحة الإنسان وحمايته من جميع الأمراض وخاصة الأمراض المعدية.

الخاتمة

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى وبعد:

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها :

١- أن السنة المطهرة هي مفتاح العطاء ونبراس الهدى، بها تفسير وهداية لكل مجريات الأمور.

٢- أن قضية الوقاية من الأمراض المعدية حظيت بجانب كبير من اهتمامها.

(١) زاد المعاد (٤/١٥).

(٢) حكم أخذ لقاح كوفيد ١٩، د. فهد بن سعد الماجد، مجلة الرياض الالكترونية الثلاثاء 6 جمادى الثاني 1442 هـ 19 يناير 2021م.

- ٣- وأنه يجب على الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات الإمام بالتناول النبوي للقضايا الصحية والمحافظة على صحة الإنسان، وعلى رأسها قضية الوقاية من الأمراض المعدية.
- ٤- أن الأخذ بأسباب الوقاية من الأمراض المعدية واجب شرعي يترتب عليه تحقيق المقاصد الشرعية التي تدعوا إلى حفظ النفس والدين والمال والعقل والعرض.
- ٥- أن تحقيق الوقاية من الأمراض المعدية من أهم أسباب الحفاظ على الوجود الإنساني، وقدرته على عمارة الأرض وأداء الوظيفة التي خلق من أجلها.

قائمة المصادر

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر الأخرى:

- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.
- الإعجاز التشريعي والعلمي في السنة النبوية، مقال منشور بجريدة أخبار الخليج الإلكترونية، بتاريخ ٢٩ يناير ٢٠١٦.
- تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي، ت: د. عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الجامع الصحيح أو (سنن الترمذي)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت ٢٧٩هـ)، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ب د ت.
- حكم أخذ لقاح كوفيد ١٩، د. فهد بن سعد الماجد، مجلة الرياض الإلكترونية الثلاثاء ٦ جمادى الثاني 1442 هـ 19 يناير 2021 م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، ط: دار الفكر، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد .
- شرح الإمام النووي على صحيح مسلم. للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. (ت ٦٧٦هـ) ط: دار إحياء التراث - بيروت. ط: الثانية ١٣٩٢ هـ.
- شرح سنن أبي داود، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، ب د ت.
- شرح صحيح البخاري، ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- صحيح الإمام البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦هـ)

- ت: محمود بن الجميل، ط: دار الصفا - مصر، ط: الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، (ت: ٨٥٢ هـ)، ت: محب الدين الخطيب - محمد فؤاد عبد الباقي - قصي محب الدين الخطيب، ط: دار الريان للتراث. القاهرة، ط: الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م.
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، ط: دار الشروق، الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠ هـ)، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال.
- المستدرک على الصحيحين. للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي. ت مصطفى عبد القادر عطا. ط دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ت: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة قرطبة - دار الحديث - مصر.
- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ت: أبو معاذ طارق بن عوض الله وأبي الفضل عبد المحسن بن إبراهيم. ط: دار الحرمين بالقاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، ط: مكتبة القاهرة، بدون طبعة.
- مقنعة السائل عن المرض الهائل، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: حياة قارة، ط: مطبعة الكرامة - الرباط.
- المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، محمود محمد خطاب السبكي، ت: أمين محمود محمد خطاب، ط: مطبعة الاستقامة، القاهرة - مصر، الأولى، ١٣٥١ - ١٣٥٣ هـ.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت ط: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ).
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية. بيروت. ١٣٩٩ هـ.
- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، ت: عصام الدين الصباطي، ط: دار الحديث، مصر، الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

- <https://arabic.rt.com/health/> .١٠٨٥٣٦٧
- <https://www.alhurra.com/health/> .٠٣/٠٥/٢٠٢٠

- <https://www.alittihad.ae/article/.۲۰۱۳/۱۷۶۵۲>
- <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/encyclopedia>
<https://www.almasryalyoum.com/news/details/.۱۴۷۳۷۲۴>
- <https://www.bbc.com/arabic> .
- <https://www.scientificamerican.com/arabic/articles/news>.